

الفزوة الثقافية ..



أعدت هذه الندوة وقدمتها إذاعة صوت الجماهير العراقية في بغداد في أثناء وجود أعضاء الندوة بالمراق للمشاركة في مهرجان أبي تمام بالموصل ، اشترك في الندوة الأساتذة: **عبد الوهاب البياتي** و**حميد سعيد** و**محمد عفيفي مطر** و**صبري حافظ** و**سامي خشبة** .. وكان موضوع الندوة هو مناقشة الدور الذي تقوم به بعض المؤسسات الثقافية المشبوهة كأدوات للفزوة الثقافي الاستعماري .

الاعمال الأدبية مثلا ، على العكس ، فالمثقفون الثوريون العرب مطالبون بالقيام بهذه الترجمة بأنفسهم ، ومطالبون بالتحرف على كل التيارات الثقافية والفكرية والفنية .. والتاريخية والمعاصرة في شكلها النظري والفكري أو في ثمراتها الإبداعية . والا تخلفنا تماما عن معرفة عصرنا وملاحمه العقلية . وليس هذا الفزوة أيضا هو اصدار المجلات أو خلق المنابر المتعددة . فنحن أيضا مطالبون كمثقفين ثوريين عرب بخلق هذه المنابر الكثيرة والمتعددة من أجل توسيع رقعة الثقافة من ناحية ، ومن أجل تحويل الثقافة الثورية الجادة الى مادة استهلاكية يومية للجماهير تستهلكها باستمرار وبانتظام .

الفزوة الثقافي الاستعماري في تقديري يتمثل في محاولة إعادة تفسير الثقافة العربية والثقافات العالية الأخرى من وجهات نظر معينة تحكم على تراننا الثقافي بأنه في مجمله مصدر لتخلفنا ، أو بأنه أحد المعوقات التي تمنعنا من الانطلاق الحضاري في المستقبل ، أو بأنه مجرد زائدة دودية لم تعد تؤدي وظيفة ما ، وتهدد بنيان المجتمعات العربية بالخطر المستمر . وهذا معناه أن تنقطع علاقتنا بتراننا الثقافي انقطاعا كاملا لكي يصبح وجودنا الوجداني المعاصر وجودا طارئاً لا جنود له . وعليه أن يبحث عن هذه الجنود . في أرض غربية أو في منابت خرافية . ويتمثل الفزوة الثقافي أيضا في تصوير التيارات الثورية في الفكر العربي وفي الثقافة العربية على أنها تيارات وافدة وغير أصيلة . أو في تصوير جوانب معينة من الثقافات العالية .. النظرية أو الإبداعية باعتبارها الوجه الوحيد من الثقافة العالية .. فعلى سبيل المثال نجد أنه في فترة معينة صور مسرح العبث على أنه التيار الوحيد السائد والمتنصر على نطاق العالم ، لدرجة أنه في فترة من الفترات كان المسرح في القاهرة على سبيل المثال يتجه بشدة نحو هذا التيار وحده معتقداً أنه بهذا الشكل يحقق العصرية من ناحية ويعبر التعبير المصري عن العقلية وعن الروح العربية في مصر . مثل هذا التصوير الجزئي من ناحية والقائم على فكرة الوجود العارض للتيارات الثورية العربية وإعادة تفسير الثقافة العربية من هاتين الزاويتين هي التي تمثل من وجهة نظري خطورة الفزوة الثقافي الذي نواجهه الآن .

البياتي : شكرا .. ونحب من الأساتذة صبري حافظ أن يحدثنا عن دور بعض المجلات الثقافية التي تعتبر منابر للفزوة الاستعماري ، وخاصة أن هذه المجلات تخرج كما تفضل الأستاذ سامي خشبة فوصفها

بدأ الشاعر عبد الوهاب البياتي الحديث بتحديد موضوع الندوة فقال :

البياتي : هناك ظواهر في الحياة الثقافية في الوطن العربي منها الإيجابي ومنها السلبي . فعلى الصعيد الإيجابي نلاحظ وبشكل عام نهوض المؤسسات الثقافية الوطنية في البلاد العربية بواجباتها . ونلاحظ كذلك الحركات الثقافية النشيطة التي يقوم بها الأدباء الشباب . وموضوع ندوتنا متعلق بأحدى الظواهر السلبية وهي نشاط المؤسسات الثقافية الاستعمارية الأجنبية في البلاد العربية ومحاولاتها للفزوة الثقافي . واعتقد أن علينا أن نحدد بداية ما نقصده بعبارة « الفزوة الثقافي » لأنها عبارة قد يستخدمها بعض الرجعيين أحيانا . كما نريد أن نحدد محاولة المساس بالثقافات الوطنية وفي بلدان العالم الثالث بشكل خاص ، وهي البلدان التي تخوض معارك التحرر الوطني . وأحب أن يبدأ الأستاذ سامي خشبة فيحدثنا عن هذين الجانبين ، لأنه كان قد كتب الكثير في مجلة « الآداب » عن هذا الموضوع الحيوي الهام .

سامي : هناك نقطتان أحب أن أطرهما في البداية لتجسيد هذا الموضوع وهما ترتبطان بموقفنا نحن المثقفين والفكرين الثوريين العرب وواجباتنا لمواجهة هذا الفزوة الثقافي . تتعلق النقطة الأولى بواجب الوحدة الفكرية والثقافية بين هؤلاء المثقفين ، وهي الوحدة التي من المفروض أن تبدأ من خلال اللقاءات المستمرة بينهم . سواء اللقاءات الشخصية المباشرة ، أو اللقاءات عن طريق الكتابة والقراءة في مختلف المنابر الثقافية . فدون أن يلتقي المثقفون الثوريون العرب ودون أن يخلقوا الفرصة الكاملة للاحتكاك الفكري والايديولوجي بينهم فسوف يظلون مفكرين ومبشرين على نطاق الوطن العربي كله أمام الهجمات الحقيقية المدبرة والمخططة والتي يشنها أعداء الأمة العربية على ثقافتنا وعقليتنا وتكويننا انكفري والايديولوجي .

أما النقطة الثانية فتتعلق بطبيعة الفزوة الثقافي نفسه . ففي تقديري أنه من أجل أن نحدد طبيعة وخطورة هذا الفزوة . ينبغي أن نحدد بعض الملامح من الحركة الواسعة التي تحدث الآن على نطاق الوطن العربي ونحدث بالذات في بعض البلدان العربية التي يستفيد الفزوة وأعوانهم من مظهرها المتحرر أو الليبرالي أو المنفتح على العالم فيقيمون المؤسسات والمنابر الثقافية التي تنفتح وراء الليبرالية وحرية الفكر من أجل تحقيق اغراضها . ليس الفزوة الثقافي هو ترجمة

بأنها تخرج بشعارات ليبرالية ، وأحيانا يسارية . لان الاستعمار القديم لم يعد يستطيع بوسائله العاجزة أن يفرض هذه المنطقة بأساليبه القديمة . بل يعمد الى أساليب ليبرالية خبيثة مبتكرة ، في محاولة توليد مركبات نقص عند كثير من الشباب والناشئين . وتصوير أن الادب الثوري والقومي والوطني هي آداب لم تعد تماشي ادب العصر، وتحاول أن تفسر الكثير من هذه الاتجاهات ، بل أن هذه المنابر الاستعمارية أخذت تدين الادب القومي والثوري والانساني ، وتصوير أن هذه الاتجاهات هامشية في تيار الادب العالمي .

صبري : احب بالاضافة الى النقطة التي يطلب مني الاستاذ البياتي أن أتحدث عنها أن أشير الى انكيفية التي يمكن بها مواجهة محاولات الغزو الثقافي بأوقف الاساليب . لكن عليّ قبل ذلك أن أتاول النقطة التي طرحها عليّ الاستاذ عبد الوهاب البياتي ثم أنتقل بعد ذلك الى القضية الاخرى . فالوطن العربي كمنطقة من أهم مناطق العالم التي يطعم فيها الاستعمار على مر العصور .. والنتهيئات الحضارية والاقتصادية التي ينزحها الاستعمار من هذه المنطقة طوال هذا القرن وحده اعظم من ان تحصى .. واذا كان من اليسير على علماء الاقتصاد أن يقدموا لنا أرقاماً مروعة لما استنزفته السدول الاستعمارية من المنطقة خلال هذا القرن وحده . فان جولة سريعة في اعظم متاحف فرنسا وانجلترا وأمريكا كقيلة لادراك مدى ضخامة المنتهيات الحضارية التي نقلتها هذه الدول من مصر والعراق والشام وغيرها من الدول العربية والتي ساهمت في صياغة العقل الانساني للمثقف والفنان الغربي في نفس الوقت الذي شاركت فيه في طمس الكثير من ملامح حضارات هذه المنطقة وفي تكريس القطيعة بين أبنائها وتاريخهم الحضاري القديم .

ولاهمية المنطقة العربية السياسية والجغرافية والاقتصادية للدول الاستعمارية ولعراقه هذه المنطقة وامتداد تاريخها الحضاري القديم في ضمير الزمن لقرون عديدة ثم انصاه وازدهاره عبر الحضارة الاسلامية بفكرها ودينها وقيمها . وجدت الدول الاستعمارية ان هذه المنطقة لا يمكن أن تستجيب بسهولة للغزو الاستعماري ، وقد جرب الاستعمار بالفعل حظه معها في هذا السبيل لكنه وجد لزاما عليه أن يحمل عصاه ويرحل بعد عمر قصير نسبيا اذا ما قيس بعمره في مناطق أخرى . ومن هنا كان عليه ازاء هذه الواجهة الحضارية الصلبة أن يلجأ الى أساليب مفاخرة . فكان الغزو الثقافي والمؤسسات التي تحمل واجبات تتواءم مع شعب عريق الحضارة هي سبيله الى احداث صدع ينفذ منه الى هدفه . ونتيجة لان الشعب العربي كان ما يجابه هذه الاساليب ويفضحها ويبتصر عليها . وجد الاستعمار عليه دائما أن يحور من أساليبه وأن يجدد من وسائله في غزو الوجدان القومي والتأثير عليه . فما ان تسقط له فلعة حتى يسارع في تشييد قلعة جديدة ، يستفيد في بنائها من تجربة القلاع القديمة المتهاوية . ثم ينسق ويوزع الادوار بين قلاعه المختلفة .. وأي دراسة لتطور مؤسسانه الثقافية تؤكد هذه القضية . وفي السنوات الاخيرة، وازاء المد الثوري المتحول صوب الاشتراكية حاول الاستعمار مستفيدا من اخطاء بعض الانظمة العربية أن يتخذ من الليبرالية مدخلا لمناقشة الكثير من قضايا الواقع العربي . والليبرالية في حد ذاتها وكفكرة مجردة شيء عظيم ، وهي تبدو بالقياس الى بعض لقطات المشهد العربي المعاصر فردوسا حلما بعيد المنال . لكنها فسي يد الاستعمار شيء آخر ، انها تتحول الى مجرد واجهة زائفة ينفث من خلالها سمومه . والى قفاز ناعم يخفي في طيات مخمله أهدافه الاستعمارية الواضحة . وقد صدرت بالفعل خلال الستينات عدة مجلات تحت شعار حرية الثقافة والانفتاح على العالم الخارجي والاهتمام بكل الآراء وكل الثقافات .. لدرجة أن بعضها رفع من شعار الحوار الذي هو من أشرف وانبل الشعارات التي تظهر من خلاله الحقائق

وتفتضح الاكاذيب ، شعارا له . بينما كان في الحقيقة يتبنى وجهة نظر واحدة على حساب بقية وجهات النظر الاخرى .. وهي وجهة النظر التي كانت سببا في ان المخابرات الاميركية كانت تفقد بسخاء عليها .. بالطبع من خلال قناع آخر هو المنظمة العالمية لحرية الثقافة .. واضح انني اشير الى تجربة مجلة (حوار) ، وشقيقتها وقد شاع بين الجميع منذ فترة طويلة خبرها وخبر استقالة عدد من مثقفي العالم من رئاسة تحرير شقيقتها مثل انكاونتر وغيرها .. والامثلة كثيرة ، والمحاولات مستمرة من خلال مؤسسة فراكلين ومن خلال مطبوعاتها التي تركز في كل مركز من مراكزها على فرع معين من فروع المعرفة تبغي من ورائه هدفا بعينه .. فمركز فرانكلين في القاهرة مثلا معنى بمجال التربية بينما كان مركزها في بغداد مهتما بالحضارات القديمة وهكذا .

وفي اعتقادي ان هذه الدائرة الموسعة النشيطة السريعة التحول والتحول من الغزوات الثقافية تتطلب من المثقفين العرب نوعا منس المجابهة المستمرة ونوعا من الفطنة الدائمة لكل التحولات التي تطرأ عليها . ولكل الافئدة التي تستعص بها عن الافئدة القديمة المزمقة . فمن واجب المثقفين تعزيز هذه الافئدة والوصول الى الجوهر والى القضايا الاساسية التي تطرحها هذه الادوات المختلفة للغزو الثقافي مؤسسات كانت اومجلات او افرادا ، ثم دحضها في الضوء واشدد على تعبير دحضها في الضوء هذا . لان المصادرة ليست هي الاسلوب الامثل . فهذه الادوات تقوم بالفعل بدور قد يخدع عددا كبيرا من القراء ، ومصادرتها لا تقنعهم بسوئها بل ربما كسبتهم ضد قرار المصادرة . واذا عدنا الى مثل (حوار) فان احدا لم يصادرها ، بل هي وحدها التي اضطرت الى التوقف بعد أن تهرأ عن وجهها القناع . واعتقد أن الطريقة المثلى لتحقيق ذلك هي التأكيد والعمل على تحقيق وحدة المثقفين التقدميين في العالم العربي، وخلق جسور دائمة من الحوار الخلاق بينهم في شتى البلدان العربية . بالدرجة التي تتيح من خلال هذا الحوار وهذا الانفتاح الحر على مختلف الآراء ووجهات النظر ، ومن خلال الصراع المستمر والناقشات الفدوحة ، تتيح للقارئ وللمثقف معا أن يعرف الزيف من الحقيقة .. والحقيقة وحدها ثورية ، ولهذا فانها تكسب بهذه الطريقة دائما المزيد من الانصار والمزيد من المثقفين باستمرار .. وهذا يحدث بالفعل . وأي دراسة لتاريخ الواقع الثقافي العربي خلال السنوات الماضية تؤكد لنا هذه الحقيقة ، وتؤكد ان المثقفين الذين خدعوا لفترة في هذه الواجهات لسبب او لآخر ، ولكن ما زال في اغوارهم بقية من انسان شريف، يتخلون عن أدوارهم التي لعبوها في فترة من الفترات ويواصلون الالتحاق بركب التقدم وبركب الثورة العربية الحقيقية .

البياتي : الاستاذ حميد سعيد ، بصفتك شاعرا طليعيا ومناصلا، ولانك تشغل منصبا هاما في وزارة الاعلام العراقية ، فاننا نود أن نتحدثنا في هذا الموضوع المهم من واقع تجربتك ومعرفتك بتفاصيله وقضاياها .

حميد : لقد تابعت هذه القضية . وقبل أن أتحدث فيها أود الإشارة الى نقطة هامة تحدث عنها الاستاذ سامي خبشه وهي ضرورة اللقاء بين المثقفين العرب . فنحن نعيش في وطن واحد . ولكن هذا الوطن فرضت عليه عوامل التجزئة المصطنعة . والاستعمار الجديد والغزو الثقافي الجديد يستغل هذه الظروف المختلفة لكي يتدخل في حياتنا حسب ظروف هذه الاقطار . فتجد انه يستغل الحريسة الليبرالية في بعض الاقطار لخلق مناخ ، وهي المجالات التي تحدث عنها الاستاذ البياتي وأكمل الحديث الاستاذ صبري حافظ . بينما نجد انه في مكان آخر يعتمد على أسماء بارزة من المثقفين الذين توفرت لهم عوامل الشهرة . ومن خلال هؤلاء يحاول أن يجمع حولها مجاميع القراء ومجاميع المثقفين والناشئة والمثقفين الجدد الذين لم يستكملوا

الموقفين بحدس . أي أن نرفع يدنا اليمنى ونضرب هذا الاتجاه . ونرفع
يدنا اليسرى ونضرب الاتجاه الآخر ، لأن الخطورة متبادلة . ولأن
الرجعية تؤكد على الموقفين وتطمس الجديد باسم هذه المحاولة .
البياتي : أنها تهجم الجديد الثوري الحقيقي من خلال ناكبتها
على جديدها الزائف .

حميد أ انه هجوم متبادل وفي الحالتين يستفيدون من تبادل
المواقع .

البياتي : الاستاذ عفيفي مطر .. بصفتك من الشعراء الشباب
في مصر فان لك تجربة أيضا في هذا الموضوع .. نريد أن نعرف رأيك
في مثل هذه النشاطات الجديدة لاننا نعلم أن المؤسسات الاستعمارية
مثل فرانكلين وحوار قد دكت وأفضحت وأن الاستعمار الثقافي
يحاول أن يلبس لبوسا جديدا مثل هذه الحالات .

مطر : اعتقد أن الحياة الثقافية العربية ممانلة تماما للوجود
السياسي والاجتماعي والتاريخي الامة العربية كما هي الآن . كما هي
مقسمة وكما هي مقتنعة وتقتطع أرضها عاما بعد عام وجيلا بعد جيل .
فان عقلها واستقلالها العقلي والفكري يتعرض لنفس الموقف . ان اهم
ما يجب ان يتخذه المثقفون العرب ازاء هذا الغزو الفكري يترتب على
فهم أن هناك ناحيتين .. الاولى هي الغزو الفكري والثانية هي العزل
الفكري . هناك ثقافة معينة تهاجمنا ولا تجعلنا نتبنى وجهة نظر محددة
في الحياة او نتبنى ما يساعدنا على تكوين نظرية شاملة للحياة
العربية . وفي نفس الوقت عزلنا عن الحياة الثقافية والتراث الثقافي
العالمي الذي لا بد من توافره ووجوده في ايدي الناس وفي عقولهم
حتى يساعد هذا على خلق ثقافة عربية معاصرة ومتطورة . هناك
الموقفان : موقف الغزو وموقف العزل . الغزو يضيق خطواتنا عن طريق
الجديد الحقيقي والعزل يساهم في اطالة امد تخلفنا . العالم العربي
ينقسم الى رقع متنافرة . بعضها متقدم وبعضها متخلف . هنا اغاني
الطرب واغاني التحلل ، في نفس الوقت الذي يحاول فيه آخرون ان
تكون هناك موسيقى سيمفونية وفنون تشكيلية على أعلى مستوى .
الوجدان العربي وجدان ممزق تتقاسمه كل هذه التيارات المتعارضة .
وفي تصوري ان حماية الوجدان والعقل العربيين مستحيلة الا اذا
وضعت نظرية شاملة تفسر وتوضح وتخطط للحياة العربية في جميع
مجالات النشاط الانساني .

وهذا المطلب الاساسي يحتاج اولا الى ان يعمل المثقفون الثوريون
العرب ، ذوو الضمائر الحية والعقول المتفتحة على نقل اهم ما في
التراث العالمي ، وكشف اهم ما في تراثنا حتى يصبحا حقا غذاء للعقل
العربي وحتى يصبح هذا العقل قادرا على مواجهة الغزو الذي يحاول
ان يملأ عقليتنا بتصورات كاذبة من العلم او عن انفسنا .
ان الجماعات المشبوهة والمفضوحة والمجلات العميلة - خصوصا
التي تصدر في بيروت فانها تمول من سفارات ومن عوالم مختلفة .
وهذه المجلات يتولى المثقفون الشرفاء عادة كشفها وحصارها حتى لو
خدعتنا لفترة .

البياتي : ما قاله الاستاذ عفيفي صحيح تماما واحب ان اعقب
بشيء اضيفه الى ذلك حول عزلة المثقفين . انه المثقف الثوري لن يشعر
بالعزلة وهو يشارك ويحاول ان يكسر الطوق . انه لا ينتظر من العناية
الالهية ان تأتي لكي تنقذه ، وانما عليه هو ان يناضل وان يكافح لكسر
السنار الحديدية الذي يكبله . ما رأي الاستاذ سامي خشبة في هذا
الموضوع ؟

سامي : هناك اضافة بسيطة ، ولكن قبلها اريد ان اعرب عن سعادتني
الحقيقية بالتحديدات العلمية التي قدمها الزملاء هنا . من هذه
التحديدات اريد ان اشير الى مقولة قال بها الاستاذ حميد سعيد واكدتها
في كلامه الاخير الاستاذ مطر .

يشير الاستاذ حميد الى الترابط بين الرجعية الكلاسيكية
والرجعية ذات الثياب او القناع المصري . اما المقولة التي قدمها عفيفي

بعد عوامل ثقافتهم بينما نجد في مناطق اخرى يتبع أسلوب شراء
البدعين . وانا اعرف ان هناك في بعض الاقطار العربية نوادي تربص
بالاسماء الناشئة ، والمبدعين الشبان الذين يتصور انه سيكون لهم
شان في مجالات الفن والثقافة والشعر والادب ، وخرطهم في هذه
النوادي ليستغلوا بعد في مجالات الغزو الثقافي .

وهناك أيضا أسلوب آخر نجد فيه أن الغزو الثقافي يتمدد
خلق تيارات ثقافية مرتبطة بثقافات استعمارية . فهو ربما لا يستفيد
من فلان كشخص ولكنه يستفيد منه كموقع فكري يهيمن في الحاضر
او يلقي ظلاله على المستقبل كداعية ومبشر ته .. ويرتبط بهذا
الاسلوب محاولة التأكيد من خلال شخص بعينه على تيار يستفيد
منه الغزو الاستعماري .. وعلى سبيل المثال بدأت مسألة التأكيد على
الشكل في أواخر الخمسينات . وظهرت مجالات تحاول التأكيد على
الشكل الفني فقط وتدعو الى عدم أهمية ما يحمله هذا الشكل من
مضمون .. وقد حوشر هذا الاتجاه .

البياتي : بل انها تدعو الآن الى الغاء المضمون تماما في بعض
الاحيان ..

صبري : على زعم أن الفن مجرد شكل فقط ، بينما هو علاقة
عضوية وجدلية حادة بين الشكل والمضمون كمتكاملين لوحدة واحدة هي
العمل الفني .. وهذا الاجتزاء والفصل هو في الواقع مدخل
تمهيدي لتكريس الاجتزاء والفصل في مجالات اخرى ، لان الغزو
الاستعماري يطرح رؤاه الخبيثة من ابعاد الداخل عن هيون العراس
ومن اقلها اشارة للرب ، ثم ما يلبث ان يمد نطاقها الى بقية المجالات
الاخرى .

حميد : هذا صحيح .. وبعض النماذج التي تدعو الى العنه
كشكل مجرد تستفيد من بعض النماذج الغربية . وانا لست ضد
هذه النماذج التي تعبر عن مجتمع مهدد من الداخل . لكني اجد ان
هناك فروقا كبيرة بين المجتمعات المهتدة من الداخل - كالمجتمعات
الغربية - والمجتمعات المهتدة من الخارج فيجب ان يكون اديها وفنها
هادفا . لذلك نجد ان التأكيد على الحضارة الغربية وعلى الفن
والادب الغربي الذي يعبر عن مجتمعات مهتدة من الداخل وهي تعاني
الانهيار لنقلها الى مجتمعاتها المهتدة من الخارج هو أسلوب من أساليب
الغزو الثقافي .. ان الادب والفن في مجتمعاتنا يجب ان يوظف .
ليس بمعنى الوظيفة البسيط والمباشر وانما بأن يكون له دور فعال في
الرد على التهديدات الخارجية التي يواجهها مجتمعنا . وذلك من
اجل مشاركته في بناء مثقف واع يفرق بين الاسود والابيض ويميز
بين مختلف الالوان .

وحيثما هددت الاتجاهات الشكلية وعزلت نتيجة لمناقشة بعض
الاصوات العربية الشريفة لها وتفنيدها حججها ودحضها ، اتجه أصحابها
الى اتجاه آخر تغير فيه الاسلوب وان بقي الجوهر ثابتا ، وهو الاتجاه
نحو الزيادة الثورية . وملاحظتي على هذا الاتجاه انه يطرح الثورة دون
ان يحدد ملامحها . فهي ثورة تجريدية وميتافيزيقية . والاحظ ملاحظة
اخرى وهي ان الدعوة الى هذه المجالات والى هذه المناهج تطرح في آن
واحد مواقف ثورية متعددة فتخلق بذلك الصراعات داخل معسكر
الثورة وبين صفوف الفكر التقدمي ، دون ان تعرض الى المعسكر
الرجعي او الى المعسكرات المشبوهة .

وهناك نقطة اخرى اود ان اتحدث بها الى المستمعين اولا ثم الى
العاملين في مجالات الثقافة والاعلام . فقد لاحظت ان هناك بعض
المواقف المتبادلة .. أي ان البعض يؤكد على مسألة عن الادب الرجعي
الكلاسيكي او الرجعية الكلاسيكية دون ان يؤكد على المحسوسات
الرجعية الجديدة التي تأخذ لبوسا تقدما سواء في الشكل او في
المضمون . بينما التيار الاخر او الموقف الاخر يؤكد على الجديد
وينسى التأكيد على الموقف الادبي الرجعي الكلاسيكي . فنحن كمثقفين
عرب يجب ان ننسب الى الموقفين والحالتين . وان نتعامل مع هذين

فتشير الى العزلة الثقافية ، او الهجمة الي تهدف الى عزل المثقفين العرب ككل والى تفتيتهم وعزلهم عن بعضهم .

والحق ان عيافي اکتفى بمفهوم انزال المثقفين العرب بعضهم عن البعض . ولو عدنا الى كلام الاستاذ حميد سنكتشف نوعا ثانيا مسن العزلة ، هو محاولة عزل الامة العربية عن تاريخها من ناحية ، اي عزلها عن تراثها الثوري التقدمي والمستنير ، ومحاولة تقديم هذا التراث القادر على الحياة في ثياب التراث الحديدي المنحجر فيسر القادر على الحياة . وعلينا نحن ان ندرك انه يوجد في تراث كل امة الاجزاء التي تقوي ونضمر وتجف وتسقط ولا تستطيع ان تستمر في الحياة ، ولكن في تراث كل امة ، وبطبيعة وجودها كامة ذات وجود حياتي مستمر عناصر اساسية مستمرة العطاء والتطور والتشبع بالحياة المتجددة ، هي التي تكون للامة ملامحها وسماتها الروحية والوجدانية والعقلية المستمرة في الماضي والحاضر والقادرة على الاستمرار في المستقبل . والرجعية الكلاسيكية نحاول الان ان تجهد قوالب معينة للعقلية العربية وتقول انه لا وجود للعقلية العربية دون هذه القوالب الثابتة والحجرية الميتة . اما الرجعية العصرية من الجانب الاخر فتقول ان الامة العربية لكي تكون امة معاصرة فينبغي لها ان تتخلى جملة عن كل تراثها ، وان تحطم كل ارتباط لها بتاريخها وان تسقط كسل سماتها المميزة ، التي سقطت بالفعل والتي ما زالت تمسك بها .

من هذين الطرفين نستطيع ان نكتشف الترابط الحقيقي بينهما فالرجعية التي تريد ان تحجر تريد ان تقتل ، والرجعية التي تريد ان تفتت هدفها الحقيقي ايضا هو القتل . يحضرنا هنا مشهد حدث في القاهرة منذ شهر تقريبا في المعهد الثقافي التابع لالمانيا الغربية . فالرجعية العصرية ما زالت قادرة على توليد العديد من الاتجاهات المخادعة وخاصة تلك التي تخدم (وتخرج من خلال) الاتجاه العام الذي يقول بان الفن ليس سوى شكل اولا وشكل فقط دون مضمون ودون محتوى ودون موقف انساني وتجربة انسانية يعرب عنها الفنان ، آخر هذه الاشكال التي استخرجوها من جراب الاغبيهم ، هي تجربة الشعر العين او الشعر المحدد .

وكان هناك معرض اقيم في المعهد الثقافي لالمانيا الغربية لهذا الشعر ، وليس هذا الارتباط بالصدفة . ونحن فد عهدنا الشعر - ونحن من اقدم الامم الشاعرة في التاريخ - عهدنا الشعر تعبيرا عن تجربة الشاعر ومعاناته وعن موقفه ورؤيته وانفعاله ونظرته للحياة وللحظة الخاصة التي يعيشها ، فاذا بهذا الشكل الجديد القادم من أوروبا الغربية ، اوربوا المهدة من الداخل كما قال الاستاذ حميد سعيد ، يقول بان الشعر يجب ان يكون مجرد اصوات لا معنى لها ، وانما مجرد ترتيبات صوتية تؤدي الى احساس نغمي مجرد - او لا نغمي في الحقيقة . وحتى الموسيقى ، اكثر الفنون تجريدا - لا يمكن ان تكون على هذا النحو . وحتى الموسيقى الكلاسيكية عند باخ أو هايدن ليست كذلك . هذا الاتجاه يريد ان يجعل اللغة الانسانية التي تعبر عن تجربة الانسان الانفعالية او الفكرية يريد ان يجعلها كاصوات الحيوانات بلا معنى انساني .

اما المشهد الذي اريد ان اشير اليه ، والذي وقع في هذا المعرض ، فقد جمع بين « الشاعر » المصري او ذلك الذي يظن نفسه شاعرا وبين شاعر آخر او ناظم تقليدي مشهور في كتب « النصوص » المدرسية وحدها وبين دارس تقليدي قديم آخر . وكان ثلاثتهم ، الرجعي العصري والرجعيان الكلاسيكيان يتولون شرح « القصائد » المعلقة على الجدران : كا ، كا ، كا ، توتى فا هو هو ... !!

هذا الارتباط المباشر والعيني بين الرجعية الكلاسيكية والرجعية العصرية وهو الارتباط الذي اشار اليه الاستاذ حميد سعيد يوقظ في اذهاننا بالفعل نوع الخطر الذي نواجهه الان ، وعلى الثوريين المثقفين العرب ان يتنبهوا فورا ودون تأجيل لكل الالاعيب المتغايرة التي تهدف الى احد الهدفين ، التجميد او التفتيت ، وعليهم في نفس الوقت ان يبدلوا جهدهم الحقيقي لاعادة اكتشاف سماتنا الروحية . والعقلية والوجدانية القومية التي حفظت وجودنا كامة متطورة عبر التاريخ لكي

تتحول هذه السمات ومجال الاحساس التلقائي الى مجال الومي والادراك العقلي الواضح .

صبري : اريد ان اضيف الى هذا الكلام نقطة صغيرة جدا وهامة ، وهي ان على المثقفين الثوريين العرب ايضا ، وهم يكتشفون سمات العقلية الخاصة والتميزة ان يقوموا بهذا الدور من خلال انفتاح واسع جدا على كل الاتجاهات الثورية المعاصرة .

عفيافي : وليس الانفتاح على الاتجاهات الثورية المعاصرة فقط ، وانما الحديثة والتاريخية ايضا . فليس بوسعنا ان نتصور اننا نعيش في حالة انفتاح عقلي دون ان تكون اصول الفكر الثوري في العالم قد نقلت الى العربية حتى الان . اننا لم نترجم حتى الان أعمال هيجل او كانط . وفي نفس الوقت فان أهم مخطوطات الفلاسفة المسرب الثوريين ما زالت مخطوطة وضائعة في مكتبات معاهد الاستشراق او مطبوعة طباعت غير محققة وغير مدروسة .

صبري : بشكل عام يجب ان تكون هناك خطة بعيدة المدى تهدف الى تجهيز العقل العربي لكي يكون في مستوى العقل الاوروبي او العقل الانساني المعاصر في هضمه لثقافات العالم الحديثة والمعاصرة وروافده العقلية التي ساعدت على نمو الفكر والثقافة الثوريين . وفي نفس الوقت يجب ان تستمر ايضا المجابهة الواعية لكل التحورات والاشكال الجديدة التي يتقنع بها الاستعمار الجديد ويكمن خلفها الفزو الثقافي، سواء كان هذا عن طريق خلق اشكال نلعب بالبناء الفني كنوع من الشكل الفارغ من المعنى او ما شابه ذلك ، او سواء كان هذا من خلال بلبلات لا حد لها حول الافكار الثورية الحقيقية التي يجب ان يعتنقها المثقف العربي والانسان العربي .

حميد : هناك ظاهرة اخرى يجب ان نشير اليها ونحن نتحدث عن ظاهرة الفزو الثقافي الاستعماري ، وهي ظاهرة الاستقطاب وتقابلها ظاهرة التجاهل والتهديم . فنحن نلاحظ ان هذه الاوساط المشبوهة تحاول ان تستقطب بعض الاصوات الجديدة وان تركز بعض الاصوات القديمة التي تتماشى مع مسيرتها . بالمقابل سنجد انها تحاول ان تتجاهل الاصوات الجديدة النظيفة رغم قوتها وتحاول ان تهدم الاصوات التقدمية القوية التي تسير مع خط الثورة العربية .

البياتي : هذا صحيح جدا ، ونلاحظ بالآونة الاخيرة ، خاصة في المجالات الاستعمارية المشبوهة او التي تمول من قبل جهات مريبة ، نلاحظ ان هذه المجالات تحاول ان تبرز اناسا غير معروفين على الاطلاق وليس في انتباههم اي اصالة او ابداع فكري مثلا شاعرا عربيا كبيرا في بيروت يكتب عن شخص اخر نكرة ينشر اشياء كالكلمات المقاطعة فيقول: ان هذه القصيدة هي اعظم قصيدة في الشعر العربي .

حميد : وقد كتب صحفي آخر ، والاخ مطر ربما يتذكر ونحن في الملتقى الشعري في بيروت كتب يقول : لم لم يدع الشاعر الفلاني ، وهو شاعر عظيم كما نسمع ، يطالب بدعوته ، ويستنكر انه لم يدع الى الملتقى ، وهو « يسمع » عنه فقط ولم يقرأ نه شيئا .

عفيافي : مع ملاحظة شيء هام جدا ومحظور خطير جدا ، وهو ان تكون الفيرة على الثورة ضد الثورة . فحينما تشند الفيرة على الثورة يمكن ان نفع في مزالق الخوف من كل ما هو جديد وحقيقي خوفا من ان يكون مانسا ببعقداتنا او شيء من هذا القبيل . اريد ان اقول انه لا بد ان تكون الحرية والحوار الحقيقي هو رائدنا الاول وهدفنا الاساسي هو الوصول الى الحقيقة من خلال النقاش الحر والمفتوح ، فلا ندين شيئا الا بان نفصحه فصحا حقيقيا وليس باستخدام اداة السلطة . فالفكر لا يقهره سوى الفكر وحده .

البياتي : الحرية هي ضمان نمونا الصحي في زحمة هذا العالم المتضارب ، وتمسكتنا بوجودنا المتميز والانساني وبفخنا على العالم دون خوف يساويه تمسكتنا بحفنا في ان نعرف ما نريد معرفته على حقيقته كاملا غير منقوص ولا مزيف . فنحن بحاجة الى الحقائق عن انفسنا وعن العالم ، لان الحرية دون معرفة العوبة لا تساوي شيئا ، تماما كالمعرفة دون حرية .